

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧))

عن ابن مسعودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«أَلَا هَلِكِ الْمُتَطَّعُونَ أَلَا هَلِكِ الْمُتَطَّعُونَ ، أَلَا هَلِكِ الْمُتَطَّعُونَ»

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخَاطِبُنَا بِالْآيَةِ الَّتِي قَرَأْنَاهَا فِي بَدَايَةِ الْخُطْبَةِ. خَلَقَ اللَّهُ الْكُونَ مُتَوَازِنًا مُتَكَامِلًا. إِذَا وَقَعَتْ بَدْرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَبَثَّ وَتَتَمَوَّ إِذَا لَمْ تَأْخُذْ الْقَدْرَ الْكَافِي مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ أَوْ إِذَا تَعَرَّضْتَ لِكَمِيَّاتٍ وَفِيرَةٍ مِنَ الْمَطَرِ الْعَزِيرِ. إِذَا تَعَرَّضَ الْكُونُ لِاهْتِزَازٍ طَيفِيٍّ فَإِنَّهُ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى إِنْهِيَارِ الْكُونِ بِأَكْمَلِهِ. حَتَّى إِذَا حَرَجَتْ الْكُرَّةُ الْأَرْضِيَّةُ عَنْ مَسَارِهَا حَتَّى وَإِنْ كَانَ مَسَافَةً قَصِيرَةً فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى انْتِهَاءِ الْحَيَاةِ. وَأَيْضًا إِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ وَفَكَرَ فِي كَيْفِيَّةِ خَلْقِهِ لَتَعَجَّبَ مِنْ كَوْنِ الْإِنْسَانِ الْمُدْهِشِ. وَيَذَكِّرُنَا هَذَا الْإِنْسِجَامُ الرَّائِعُ الَّذِي فِي الْكُونِ وَالْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الْآيَةِ: (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا)

إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَرْتَكِبُ أفعالًا حَرَمَهَا اللَّهُ فَهُوَ بِهَذَا يَظْلَمُ عَائِلَتَهُ فَتُصْبِحُ الْعَلَاقَاتُ الْأَسْرِيَّةُ بِذُنُوبِ حُوبٍ، وَمَوَدَّةٍ، وَنَفَقَةٍ. كَمَا يُشْكَلُ تَفَكُّكُ الْأُسْرَةِ مَصْدَرًا لِلِاضْطِرَابَاتِ فِي الْمَجْتَمَعِ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ تَجَاوُزَ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمَ الْإِلْتِزَامِ بِمَا حَدَّدَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَائِلٍ وَحَرَائِمٍ هُوَ ظَلَمٌ يَرْتَكِبُهُ الْإِنْسَانُ ضِدَّ نَفْسِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ عَائِلَتِهِ، وَالْمَجْتَمَعِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الظلمَ يَجْرُ الْإِنْسَانَ نَحْوَ الْإِنْفِرَاضِ.

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا هَلِكِ الْمُتَطَّعُونَ، أَلَا هَلِكِ الْمُتَطَّعُونَ، أَلَا هَلِكِ الْمُتَطَّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا، وَكَرَّرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِشَارَةً إِلَى حُطُورَةِ تَجَاوُزِ الْحَدِّ. يُمَكِّنُ لِلْكَلِمَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي نَطَّقُ بِهَا أَنْ تُدْمِرَ الْأُسْرَةَ، وَيُمَكِّنُ لِلتَّصَرُّفِ غَيْرِ اللَّائِقِ أَنْ يَخْلُقَ شَجَارًا. فَإِنَّ تَجَاوُزَ الْحَدِّ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ إِلَّا هَلَاكًا فِي الْآخِرَةِ. إِنَّ الْفِتْنَةَ أَوْ النِّفَاقَ، وَالْبُخْلَ أَوْ التَّبَذِيرَ وَالْقِتَالَ أَوْ الْحَرْبَ يَهْدِدُ الْفُرْدَ، وَالْأُسْرَةَ، وَالْمَجْتَمَعِ بِشَكْلِ كَامِلٍ. الْمُبَالَغَةُ فِي التَّبَذِيرِ وَالتَّرْفِيهِ مُؤَشِّرٌ آخَرَ عَلَى تَجَاوُزِ الْحُدُودِ. فِي حَالَةِ تَحْقِيقِ الرَّغَبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي، تَنْدَفِعُ النَّفُوسُ إِلَى حَالَةٍ مِنَ الْجُنُونِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفَاضِلُ،

فِي يَوْمِنَا هَذَا أَصْنَبَحَتْ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ كَالْعَادَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَمْتَلِكُ إِمْكَانِيَّاتٍ مُحَدَّدَةً؛ لَكِنَّهُ يُحَاوِلُ جَاهِدًا لِتَحْقِيقِ كُلِّ رَغْبَاتِهِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي. وَابْنُ آدَمَ الَّذِي لَا يَمْلَأُ عَيْنَهُ إِلَّا التُّرَابُ لَنْ يَشْبَعَ مِنْ أَيِّ مُتَعَةٍ. يُحَاوِلُ بِاسْتِمْرَارٍ إِلَى شَيْءٍ جَدِيدٍ وَأَفْضَلِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرِّضَى بِالنِّعَمِ الَّتِي رَزَقَنَا اللَّهُ بِهَا يَكْفِي لِإِسْعَادِ الْإِنْسَانِ. سَيَتَمَكَّنُ الْإِنْسَانُ مِنْ إِيجَادِ السَّعَادَةِ لِنَفْسِهِ، وَلِعَائِلَتِهِ، وَلِمَجْتَمَعِهِ مِنْ خِلَالِ الْعَيْشِ بِحُدُودِ اللَّهِ. فَكَمَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَمْنَعُ أَنْفُسَنَا مِمَّا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَنَا، لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَعْتَبِرَ مَا هُوَ حَرَامٌ لَنَا حَلَالًا. وَالِاعْتِدَالُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ هُوَ فِعْلُ الْحَلَائِلِ وَالِابْتِعَادُ عَنِ الْحَرَائِمِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ يَلْتَرَمُونَ بِالْحُدُودِ وَلَا يَتَجَاوِزُونَهَا.

آمِينَ